# أناشيد وطنية مغربية وعربية
# محورها ثورة الريف

ذ محمد العربي المساري

معروف أن الثورة التحررية التي قادها الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي كانت مصدر إلهام للشبان المغاربة الذين كانوا وهم شباب في طور التحفز للنزول إلى الشارع لتصدر النضال السياسي ضد نظام الحماية.

وحينما شاع في المغرب خبر قرار بن عبد الكريم بتسليم نفسه إلى السلطات العسكرية الفرنسية، عم الشعور بالأسى في كل أنحاء المغرب، بعد أن كانت أخبار الانتصارات التي كان يحرزها الثوار الريفيون تزرع التفاؤل في البوادي والحواضر المغربية في مختلف المناطق.

وسجل التاريخ أن ثلاثة شبان من طلاب جامعة القرويين، التي تلقى فيها الزعيم الريفي قبل سنوات، تكوينه المتين الذي أهله لممارسة القضاء، تأملوا في حادث الاستسلام، وتأثروا له في أعماقهم، وسجلوا مشاعرهم وأفكارهم في مساجلة شعرية، هي في حد ذاتها دليل واضح على التأثير الذي مارسه بن عبد الكريم على أفكار الشبيبة حينذاك.

يتعلق الأمر بأبيات شعرية أنشأها الطالب الشاب المختار السوسي، عقب عليها بأبيات أخرى رفيقه علال الفاسي الذي لقبه أصدقاؤه بشاعر الشباب. وشاركهم في ذلك رفيقهم العلوي. وتناولت تلك الأبيات المحفوظة في ديوان علال الفاسي التعبير عن الألم، ولكن في نفس الوقت التعبير عن العزم على حمل المشعل، لمواصلة الكفاح بأسلوب آخر لتحقيق نفس الهدف الذي عمل له الخطابي.

وحدث بعد ذلك في مجال الأناشيد الوطنية تناسل نظمي ولحني انتقلت من خلاله أنشودة وضعت في الأصل للتغني بالثورة المجيدة التي قادها الخطابي، إلى نشيد وطني ذائع الصيت ما زالت ألفاظه وإيقاعاته تتردد حتى اليوم.

وقد ترك المرحوم امحمد بنونة، القائد البارز في الحركة الوطنية بالشمال، وثيقة صوتية نقل فحواها السيد العربي بنونة في مقال منشور في جريدة العلم بتاريخ 7 يونيو 1990 جاء فيه أنه " في ربيع الأول سنة 1343 كانت جيوش المجاهد الكبير السيد محمد بن عبد الكريم الخطابي تهاجم المستعمرين في كل ناحية من نواحي المنطقة الخليفية (المخضعة للاحتلال الإسباني) ووصلت في هجومها إلى أحواز تطوان، فكانت المعارك تدور في أجنتها وأغراسها، وكنا نراها بالنهار، ونسمع صداها في الليل.

ويمكن أن نذكر أن التاريخ الذي أورده بنونة بالتقويم الهجري يطابق أكتوبر 1924 وهو يصادف فترة قرار بريمو دي ريفيرا بالجلاء عن الشاون ابتداء من 15 نوفمبر من تلك السنة، وصادف تقدم قوات بن عبد الكريم غربا حيث وصلت مدافعه إلى مشارف جبل غرغيز بعاصمة المنطقة الخليفية. و ما ورد في التسجيل الصوتي يضيف إلى معلوماتنا تفاصيل منها أن صاحب التسجيل يقول إنه في ذلك الوقت أنشأ أول نشيد وضعه في حياته، وجاء في شكل زجل ملحون قام هو بتلحينه، وكان مطلعه:

مغربنا وطننا روحنا فداه

أميرنا عبد الكريم ربي حماه

يارينا هيئ لنا

طرق الرشاد والاتحاد

هيا بنا بني الوطن إلى الجهاد

مستمسكين بديننا نغزو الأعادي.

ولكن ذلك النشيد أصبح غير ذي موضوع، بسبب أن الدعوة الحارة إلى الجهاد لنصرة بن عبد الكريم أصبحت متجاوزة بعد عامين، حينما توقفت الحرب في سنة 1926. ولهذا يذكر امحمد بنونة في التسجيل الصوتي المحفوظ حتى الآن، أنه حينما تقابل مع شاعر الشباب الذي كان معجبا بالنشيد طلب من رفيقه الفاسي أن يصوغ النشيد بعبارت أخرى تكون مناسبة لظروف ما بعد الحرب، وتكون لهجته معتدلة، لتسهيل التغني به في المناسبات الوطنية. وتضمن النشيد على الخصوص ما يلي:

مغربنا وديننا يجمعنا

إلى الأمام على الدوام شعارنا

أوطاننا أرواحنا

لها فداء لها فداء.

وقال بنونة عن تلك الصيغة الجديدة إنها كانت بنفس الوزن ونفس اللحن ولكنها مختصرة. وقد نشرها الأستاذ محمد داود في مجلته السلام. ولا شك أنه يقصد النص الذي نشر في العدد الخامس الصادر في شهر فبراير 1934. وجاء النص في الصفحة 37 من العدد المذكور ونشر بعنوان نشيد المؤتمر. ونسب صراحة لعلال الفاسي. وورد في ديوان علال الفاسي، الجزء الأول الذي حققه الدكتور عبد العلي الودغيري، أن المؤتمر المقصود هو مؤتمر الطلبة بباريس سنة 1933. ولعله يقصد مؤتمر طلبة شمال إفريقيا المسلمين (ص 35). وكان مطلعه كما يلي:

نحن الألى، نحو العلا، نحدو البلاد

نعلي منار، هاذي الديار، بالاجتهاد.

وقد تضمنه الديوان.

وجاء في التسجيل الصوتي لبنونة أن النشيد المذكور في صيغته الجديدة انتشر بسرعة وأصبح يستعمل في الأفراح وفي الاجتماعات الوطنية.

على أن النشيد الذي كان في الأصل لمحمد بنونة وكان للتغني بثورة الريف، لم يكن الوحيد. فهناك نشيد آخر ألفه وطني رباطي هو أبو بكر بناني عم صديقنا الأستاذ عثمان بناني. وقد لحنه أيضا امحمد بنونة، كما ذكر عبد العزيز بن عبد الجليل الذي أورده بنصه في كتابه الحافل، **الأناشيد الوطنية ودورها في حركة التحرير** (ص 310، وقد نقله عن عبد الله كنون: **أحاديث المغرب في المشرق.** ). وهذا النشيد معروف ومطلعه:

يابني المغرب ما هذا الرقاد

ما لكم صرتم كأمثال الجماد.

وفيه بعد ذلك:

يابني المغرب سيروا للأمام

وارفعوا راية غازينا الهمام

فخرنا عبد الكريم بن الكرام

واسألوا الله انتصار المسلمين

وأورد بن عبد الجليل في الكتاب المشار إليه نص نشيد آخر عن ثورة الريف بعنوان " في ثنايا العجاج " للشاعر الفلسطيني إبراهيم طوقان، وهو مثل النشيد المغربي المعروف "يانشاط الأمل " لعبد الله كنون مقتبس لحنه من النشيد الوطني اللبناني. وجاء في نشيد طوقان:

في ثنايا العجاج — والتحام السيوف

بينما الجو داج — والمنايا تطوف

يتهادى نسيم فيه أزكى سلام

لابن عبد الكريم الأمير الهمام

ولكن هناك ما يمكن أن يضاف إلى ما ذكر بشأن النشيد المغربي الأول عن حرب الريف، وبالذات من التسجيل الصوتي لامحمد بنونة الذي أشار إلى ما يفيد أنه بعد سنوات من نشر النشيد في صيغته المقتضبة، ظل النشيد بوزنه ولحنه يخاطب المخيلة الوطنية، وفي الأربعينيات وضع علال الفاسي نشيدا جديدا على منوال النشيد الأول بقصد جعله نشيدا رسميا لحزب الاستقلال. وقال امحمد بنونة: "واستدعاني الأمين العام للحزب الأستاذ أحمد بلافريج إلى الرباط قصد تلقين اللحن لشباب الحزب" وأصبح كما يلي:

مغربنا وطننا روحي فداه

ومن يدس حقوقه يذق رداه

دمي له، روحي له

وما ملكت فداه

( ولكن الشائع هو وما ملكت في كل آن )

وأشار الودغيري حين نشر "نشيد الحزب" (ص 115 من ديوان علال الفاسي ) أن نسبة النشيد لصاحب الديوان معروفة لدى كل من يحفظه.

وكان مقال العربي بنونة المستند للوثيقة الصوتية التي تتضمن معطيات فاصلة، هو خاتمة سلسلة مقالات نشرتها العلم لكل من عبد الرحمان الحريشي ( **العلم** 1990/5/9) ورشيد بناني ( **العلم** 1990/5/18) وذلك تعقيبا على مقال تساءل فيه علي بركاش عن قصة نشيد مغربنا وطننا. كما تدخل في الموضوع عبد الهادي التازي (**العلم** 2009/1/17) الذي ذكر أنه سمع نشيد "مغربنا وطننا" في أكتوبر سنة 1937. وقال التازي إن ذلك الوقت هو تاريخ ميلاد النشيد المذكور الذي أضاف أنه كان نشيد الحزب

الوطني الذي انبثق منه حزب الاستقلال فيما بعد في 1944. والجدير بالذكر أن الجزء الذي حققه الدكتور عبد العلي الودغيري من ديوان علال الفاسي لا يذكر التاريخ الذي وقعت فيه صياغة نشيد حزب الاستقلال.

وقد قام رشيد بناني في المقال المشار إليه آنفا بتحليل لمختلف الصيغ المعروفة، وقارن بعضها ببعض، ولاحظ أن هناك اختلافا في القوافي، ولاحظ وقوع كسر عروضي في إحدى تلك الصيغ، في الشطر الذي يتضمن الإشارة إلى الحزب الوطني.

وعلى أي حال فإن التسلسل الزمني لمختلف الصيغ، يجعل من الممكن القول إن "مغربنا وطننا" الذي آل في نهاية الأمر إلى ما هو عليه اليوم، يمت في أصله إلى نسب عريق هو النشيد الذي أنشئ للتغني بالثورة الريفية المجيدة. وهذه القرابة المباشرة تدل فيما تدل على أن جيل الثلاثينيات الذي أيقظ الحركة الوطنية المغربية المعاصرة قد استلهم مشاعره ومرجعيته من الكفاح البطولي الذي قاده الأمير الخطابي.

ولابد أن نضيف على سبيل الختام أنه كما أن هذا النشيد الذائع الصيت متحدر من نشيد وضع للتغني بالثورة الريفية، فإن ثلاثة أناشيد اشترك فيها ناظمون من المنطقة السلطانية وملحنون من المنطقة الخليفية. وهذا مما فوت على الاستعمار أن يحقق أحد أهم أهدافه، وهو تكريس تجزئة المغرب، التي ظلت بفضل رواد الحركة الوطنية مجرد حبر على ورق. وقليلة هي النوازل التي تصدق عليها هذه العبارة، بكل دقة.

7 مايو 2011

المساري، محمد العربي. 2012. أناشيد وطنية مغربية و عربية محورها ثورة الريف. *البحث التاريخي*،مج. 2012, ع. 9, ص ص. 43-48.